الحضارة الإسلامية الحديثة من منظور امامي الثورة الإسلامية

■ محسن باك آيين (السفير السابق لجمهورية إيران الإسلامية في زامبيا وأوزبكستان وتايلاند وأذربيجان)

ان ظهور الإسلام في الجزيرة العربية أحدث تغيرات اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية كبيرة، حيث تمكن الدين الإسلامي الحنيف خلال فترة زمنية قصيرة من تأسيس حضارة عالمية عظيمة. وفي الواقع ان هذا الدين الجديد شكل تحديا كبيرا للحضارات القديمة والقوية مثل الحضارة الإيرانية والرومية وأصبح منافسا قويا لهما .

في اطار تعريفه للمدنية يذكر ابن خلدون بأنها حصيلة اتجاه الانسان نحو الحياة الاجتماعية وان الحضارة تعني مجموعة المدن والقرى والبيوت والمباني ومظاهر التقدم العلمي والأدبي التي تناقض الحياة الابتدائية والبدوية.

وهو يعتقد بأن الإسلام دين عالمي وأن رسالة الأنبياء لاتخص بلد واحد او منطقة خاصة ولا للمسلمين فقط بل جائت لهداية وتوجيه المجتمع البشري بأكمله ، وأن الحضارة الإسلامية ترمي إلى تحقيق نفس هذا الهدف العالمي الشامل .

طبعا بعد فترة من سطوع وتألق الحضارة الإسلامية تعرضت هذه الحضارة بسبب هجمات الصليبيين والمغول وسقوط الأندلس والمشاكل الداخلية للعالم الإسلامي الى الركود وفي الواقع فقدت الحضارة الإسلامية اثرها الكثير من آثارها ومظاهرها العظيمة والمجيدة.

وبانتصار الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني ، تم مرة اخرى طرح موضوع الحضارة الإسلامية الحديثة ومعالمها الأساسية . ومن خلال الرؤية الكونية لمؤسسها وقائدها سعت الثورة الإسلامية الإيرانية التي قامت على اساس تعاليم الدين الإسلامي، إلى خلق حضارة إسلامية جديدة لقيادة وهداية المجتمع البشري. وكان الإمام الخميني يعتبر الحضارة الإسلامية الجديدة مجموعة من العادات والتقاليد المشتركة بين البلدان الإسلامية التي تستمد جميع مظاهرها من القرآن والسنة ، لكنها لا تلتفت في نفس الوقت إلى العلم الحديث. من هنا يجب على الحضارة الإسلامية في عصر الأقمار الصناعية والإنترنت أن تستخدم ايضا هذه الأليات والوسائل لتحقيق أهدافها، و ان تتمتع-خلافا للتفكير المنغلق الموجود اليوم لدى الجماعات التكفيرية- بمزايا ومواهب العلوم والمعرفة الحديثة . فمن وجهة نظر الإمام الخميني ، كانت أسس الحضارة الإسلامية هي القرآن والسنة النبوية ، الا ان هذه الحضارة كانت أيضًا تهتم بعلوم زمانها وتستخدمها في شتى المجالات.

وإذا القينا نظرة على بيان الخطوة الثانية للثورة الذي اصدره القائد المعظم للثورة الإسلامية نلاحظ ان الهدف الاول والأهم من إصدار هذا البيان هو توجيه الشعب الايراني العظيم للتحرك نحو بناء حضارة إسلامية جديدة.

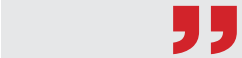

من وجهة نظر الإمام الخميني ، كانت أسس الحضارة الإسلامية هي القرآن والسنة النبوية ، الا ان هذه الحضارة كانت أيضًا تهتم بعلوم زمانها وتستخدمها في شتى المجالات.

وإذا القينا نظرة على بيان الخطوة الثانية للثورة الذي اصدره القائد المعظم للثورة الإسلامية نلاحظ ان الهدف الاول والأهم من إصدار هذا البيان هو توجيه الشعب الايراني العظيم للتحرك نحو بناء حضارة إسلامية جديدة.

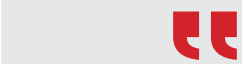

فحسب وجهة نظر آية الله الخامنئي، إن "الجهاد العظيم لبناء إيران الإسلامية" سيؤدي في نهاية المطاف إلى خلق حضارة إسلامية جديدة، وهذه الحضارة بدورها ستمهد الثورة لشروق شمس الولاية العظمى (ارواحنا فداه) فسماحته يطالب الشعب الإيراني في الفقرة الثامنة من البيان مايلي :

(يجب أن تحموا ثورتكم بخبراتكم واندفاعكم وتُقرّبوها اكثر مايمكن من هدفها الكبير ألا وهو إيجاد الحضارة الإسلاميّة الحديثة والاستعداد لبزوغ شمس الوليّ الأعظم (أرواحنا فداه).)

كما تم في الفقرة الثامنة من البيان ايضا الإشارة إلى نقطتين هامتين تتعلقان بمجال العلاقات الدولية والسياسة الخارجية، وهما إنشاء حضارة إسلامية جديدة والتحضير لظهور إمام الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف) والحكومة العالمية المهدوية.

فمن وجهة نظر القائد، ان الثورة المجيدة للشعب الإيراني قد دخلت المرحلة الثانية من البناء الذاتي والتنمية والتربية الاجتماعية والبناء الحضاري كعملية كبيرة وعالمية في الأربعينية الثانية من عمر الثورة ، ومن أجل خلق حضارة إسلامية جديدة ، عليها أن تعرف الماضي وتتعلم من التجارب.

("من أجل اتخاذ خطوات حازمة في المستقبل، يجب على المرء أن يعرف الماضي بشكل صحيح وأن يتعلم من التجارب ؛ وإذا تم إهمال هذه الاستراتيجية ، فإن الأكاذيب ستحل محل الحقيقة وسيكون المستقبل معرض لتهديد مجهول.")

لقد علمتنا تجارب الثورة الإسلامية في الأربعين سنة الماضية على صعيد السياسة الخارجية أن نحمي الاستقلال والسيادة الوطنية في العلاقات الدولية بنهج ثوري، وأن لا نثق بالعدو وان نعرف حدودنا معه ،وان نقارع الاستكبار وان نحافظ على قدرة وسلطة النظام في المنطقة ، وان نتابع

دبلوماسية الوحدة الإسلامية ، وأن نكون صديقاً للمضطهدين والمظلومين في العالم ، بما في ذلك الشعب الفلسطيني ،ونتابع موضوع تقوية وتعزيز الاقتصاد المقاوم بالاعتماد على الداخل. والنظر إلى الخارج ، وخاصة الشرق ، وان نتعامل مع العالم- طبعا باستثناء بعض الدول- تعاملا وديا من منطلق الاحترام المتبادل. فالتعلم من تجارب الثورة في الأربعين سنة الأولى يعني استمرار هذه العملية في الأربعين سنة الثانية من اجل التوجه نحو حضارة إسلامية حديثة.

ومن متطلبات الحضارة الإسلامية الجديدة هو التفاهم الأقصى بين المسلمين. كما ينبغي تفعيل دبلوماسية الوحدة الإسلامية في سياق الدبلوماسية العامة. وفي هذا الصدد ، نلاحظ ان القائد المعظم للثورة الإسلامية ، قد أكد في حكمه لتعيين آية الله الأراكي ، الرئيس السابق لمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ، على ضرورة استخدام "دبلوماسية الوحدة الإسلامية".

ان الدبلوماسية تعني فن حل النزاعات من خلال اقامة العلاقة بين الدول والأمم ، والتي تزداد أهميتها ايضا يوما بعد يوم في مجال منع الحروب. والمهمة الرئيسية للدبلوماسية هي التأكيد على القواسم المشتركة ،وتآسيسا على ذلك يجب أن تخدم دبلوماسية الوحدة الإسلامية وحدة المسلمين.وفي الأيام الأولى للإسلام ، كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) أيضًا يبعث رسائل وممثلين إلى الأطراف الأخرى لمنع الحرب وتقليل الخلافات. حيث بعث الرسول (صلى الله عليه وسلم) أكثر من ١٠٠ رسالة إلى مختلف البلدان والقبائل وحاول قبل كل شيء تقليص الخلافات من خلال نوع من التواصل ، وباعتباره من دعاة السلام ،كان يحول بهذا الشكل دون وقوع واندلاع الحروب.

واليوم تشكل قضية فلسطين المحور الرئيسي لوحدة المسلمين والقضية الأولى للعالم الإسلامي.ومن هذا المنطلق كان شعار الثورة الاسلامية الايرانية في ايام انتصارها هو(اليوم ايران وغدا فلسطين) وهذا يعني ان انتصار الثورة الاسلامية لايكتمل الا بتحرير فلسطين . فتحرير فلسطين اذن هو أحد مستلزمات انشاء الحضارة الإسلامية الحديثة ، ولهذا تعتبر إيران الحل الاساسى لتحقيق سلام عادل لفلسطين يكمن في إجراء استفتاء شامل وتحديد النظام المستقبلي لهذه الأرض من خلال استمرار المقاومة والاستفتاء ومراجعة الرأي العام .

كما ذكر القائد المعظم للثورة الإسلامية ايضا الحج باعتباره أحد مظاهر الحضارة الإسلامية ، وفي ٢٠١٩/٧/٣ م ، خلال لقائه بمسؤولي بعثة الحج ، قال:

"في الحضارة الإسلامية الجديدة ، نلاحظ تواجد المعنويات والسموالأخلاقي والمعنوي والروحي والدعاء والتواضع ، إلى جانب تطور الحياة المادية ، والحج هو مظهر من مظاهر هذه الحضارة".

ومن الضروريات الاخرى لإنشاء وبناء حضارة إسلامية حديثة هو زوال الحضارة المنافسة ، يعني الديمقراطية الليبرالية. واليوم ، يمكن اعتبار النظام الديمقراطي الليبرالي حضارة تتجه نحو الانهيار، ويمكن اعتبار الولايات المتحدة مظهرًا من مظاهر هذه الحضارة التي تتجه نحو الانهيار. فالأحداث الساخنة التي شهدتها الولايات المتحدة في السنوات الأخيرة تعتبر تطورا بدأ باغتيال جورج فليد ، وبلغ ذروته في الانتخابات الأمريكية ، وتحولت اليوم إلى أزمة من الاحتجاجات.وهذه الاحتجاجات ليست من النوع الذي يؤكد فقط على موضوع الاعتراض على العاملين في الادارة الاميركية اوعلى بعض المسؤولين أو على أحد الاحزاب في الولايات المتحدة ؛وانما اعتراض واحتجاجات عارمة ضد الهيكل السياسي للولايات المتحدة والحضارة القائمة على الديمقراطية الليبرالية.وهذه الاحتجاجات بطبيعة الحال ستستمرفي المستقبل ايضا .

في الأربعين سنة الأولى من الثورة ،وإلى جانب الدبلوماسية الرسمية ، تم الاهتمام

بدور الدبلوماسية العامة باعتبارها أحد أدوات وآليات القوة الناعمة ، وطبعا ينبغي أن يكون دورها في الأربعين سنة الثانية ، أكثر واقوى من ذي قبل. وعلى هذا الصعيد يبدو إن معرفة الاستراتيجيات والمتلقين وآليات الدبلوماسية العامة للبلدان والدول الأخرى ، وخاصة أعداء الإسلام وإيران ، أمرا ضروريا للجهات المعنية بالعلاقات الخارجية.فمؤسسات مثل وزارة الشؤون الخارجية ، ورابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية ، ومؤسسة الإذاعة والتلفزيون ، ومجمع التقريب والمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) ، وجامعة المصطفى (ص) وغيرها من الجامعات والجمعيات العلمية ، باعتبارها الأدوات الرئيسية للدبلوماسية العامة ينبغي ان يكون لديها برامج وخطط تنفيذية في مجال التأثير على أفكار الشعوب المختلفة .ومن أهم الواجبات والمهام الملقاة على عاتق الأجهزة العاملة في مجال الدبلوماسية العامة، هو التعريف بأبعاد الثورة الإسلامية ، وإظهار صورة إيجابية عن الإسلام وإيران ، ونقل الأسس النظرية الإنسانية للإسلام إلى شعوب العالم ، ومد جسورالتفاهم والوحدة بين المسلمين ، وكشف حيل الأعداء ومؤامراتهم المعادية للإسلام ،وإيجاد حلول لمواجهة ومكافحةهذه الحيل والمؤامرات.

لقد علمتنا تجارب الثورة الإسلامية في الأربعين سنة الماضية على صعيد السياسة الخارجية أن نحمي الاستقلال والسيادة الوطنية في العلاقات الدولية بنهج ثوري، وأن لا نثق بالعدو وان نعرف حدودنا معه ،وان نقارع الاستكبار وان نحافظ على قدرة وسلطة النظام في المنطقة ، وان نتابع دبلوماسية الوحدة الإسلامية ، وأن نكون صديقاً للمضطهدين والمظلومين في العالم

النقطة الاخيرة هو ان وثيقة الرؤية للجمهورية إيران الإسلامية خلال٢٠ عامًا تبين بأن جمهورية إيران الإسلامية ستكون بلدا ملهما لدول العالم. ولتحقيق هذه الرؤية لا بد من القيام بالتخطيط اللازم في مجالات الدبلوماسية الرسمية والعامة وفق ظروف وخصوصيات الدول المختلفة ، وان نتحرك من خلال زيادة نفوذها وتأثيرها على مختلف أنحاء العالم ، في المسير الذي يقودنا نحو تحقيق الحضارة الإسلامية الحديثة التي ستكون نقطة الانطلاق لتمهيد الظهور .